

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجَكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنَ وَأَسْرُخُكُنَ سَرَاحًا حَمِيلًا } 28* { وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدُنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُخْسِنَاتِ مِنْكُنَ أَجْرًا عَظِيمًا } 29

هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجليل، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

قال البخاري: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهرى قال: أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن: أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه، قالت: فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبُوكَ" وقد علم أن أبي لم يكونا يأمرانى بفراقه، قالت: ثم قال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَ تُرِدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنَ }" إلى تمام الآية، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

وكذا رواه معلقاً عن الليث: حدثني يونس عن الزهرى عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها، فذكره، وزاد: قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت، وقد حكى البخاري أن معمراً اضطرب فيه، فتارة رواه عن الزهرى عن أبي سلمة، وتارة رواه عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها.

وقال ابن حير: حدثنا أحمد بن عبدة الصبى، حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال: قالت عائشة رضي الله عنها: لما نزل الخيار، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَذْكُرَ لَكَ أَمْرًا، فَلَا تَقْضِيَ فِيهِ شَيْئًا حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبُوكَ" قالت: قلت: وما هو يارسول الله؟ قالت: فرده عليها، فقالت: وما هو يارسول الله؟ قالت: فرده عليها، فقالت: وما هو يارسول الله؟ قالت: فقرأ صلى الله عليه وسلم عليها: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَ تُرِدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنَ } إلى آخر الآية، قالت: فقلت: بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم.

وحدثنا ابن وكيع، حدثنا محمد بن بشير عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت آية التخيير، بدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يَا عَائِشَةَ إِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكَ أَمْرًا، فَلَا تَفْتَأِي فِيهِ بَشِيءَ حَتَّى تَعْرِضِيهِ عَلَى أَبُوكَ: أَبِي بَكْرٍ وَأَمِّ رُومَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا"

، فقالت: يارسول الله وما هو؟ قال صلى الله عليه وسلم " قال الله عز وجل: { يَا يَهُا الَّتِي قُل لَّا زُوْجَكَ إِن كُنْنَ تُرْدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِبَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَغَكُنَّ وَأَسْرَرَ حَكْنَ سَرَاحًا حَمِيلًا وَإِن كُنْنَ تُرْدَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَ لِلْمُخْسِنِ مِنْكُنَّ أَخْرَى عَظِيمًا } " قال: فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ولا أؤامر في ذلك أبي بكر وأم رومان رضي الله عنهم. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر، فقال: " إِن عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — قالت: كذا وكذا " ، فقلن: ونحن نقول مثلما قالت عائشة. رضي الله عنهم كلهم. رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبيأسامة عن محمد بن عمرو به.

قال ابن جرير: وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل — إلى نسائه أمر أن يخيرهن، فدخل علي فقال: " سَادِكْ لَكْ أَمْرًا، فَلَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَاكَ " فقلت: وما هو يارسول الله؟ قال: " إِنِي أَمْرَتُ أَنْ أَخِيرَكُنَّ " وتلا عليها آية التخbir إلى آخر الآيتين، قالت: فقلت: وما الذي تقول: لاتعجلي حتى تستشيري أباك؟ فإني اختار الله ورسوله. فسر صلى الله عليه وسلم بذلك، وعرض على نسائه، فتابعن كلهم، فاخترن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يزيد بن سنان البصري، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عقيل عن الزهري، أخبرني عبد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت عائشة رضي الله عنها: أنزلت آية التخbir، فبدأ بي أول امرأة من نسائه، فقال صلى الله عليه وسلم " إِنِي دَاكِرْ لَكَ أَمْرًا، فَلَا عَلِيكَ أَنْ تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبُوكَ " قالت: وقد علم أن أبي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: { يَا يَهُا الَّتِي قُل لَّا زُوْجَكَ إِنْ كُنْنَ تُرْدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِبَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَغَكُنَّ } " الآيتين، قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: أفي هذا أستأمر أبي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نسائه كلهم، فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهم، وأخرجه البخاري ومسلم جمياً عن قتيبة عن الليث عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها مثله.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه، فلم يعدها علينا شيئاً، آخر جاه من حديث الأعمش.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، حدثنا زكريا بن إسحاق عن أبي الزبير عن حابر رضي الله عنه قال: أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ببابه جلوس، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضي الله عنه، فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فدخلوا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، وحوله نساؤه، وهو صلى الله عليه وسلم ساكت، فقال عمر رضي الله عنه: لاكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك، فقال عمر رضي الله عنه: يارسول الله لو رأيت ابنة زيد — امرأة عمر — سألتني النفقه آنفأ، فوحّأت عنقها، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، وقال: " هُنْ حَوْلِي يَسْأَلُنِي النَّفْقَةَ " فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها، وقام عمر

رضي الله عنه إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده، فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن: والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده، قال: وأنزل الله عز وجل الخيار، فبدأ عائشة رضي الله عنها فقال: **إِنِّي أَذْكُرُ لَكَ أَمْرًا مَا أَحْبَبْتُ أَنْ تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبْوِيْكَ** قال: وما هو؟ قال: فتلا عليها: { يَا يَهُهَا إِنَّنِي فُلِّ لَأَرْوَحِكَ إِنْ كُنْنَنْ تُرِدْنَ لِحَيَّةَ الْدَّنْيَا وَزَيَّنَهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنْ } الآية،

قالت عائشة رضي الله عنها: أفيك أستأمر أبي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت، فقال صلى الله عليه وسلم **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَعْتَنِي مَعْنَفًا، وَلَكِنْ بَعْثَنِي مَعْلَمًا مَيْسِرًا، لَا تَسْأَلْنِي امْرًا مِنْهُنَّ عَمَّا اخْتَرْتُ إِلَّا أَجْبَرْتَهَا** انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري، فرواه هو والنسائي من حديث زكريا بن إسحاق المكي به.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا سريح بن يونس، حدثنا علي بن هشام بن البريد عن محمد بن عبيد الله ابن علي بن أبي رافع، عن عثمان بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نساءه الدنيا والآخرة، ولم يخبرهن الطلاق، وهذا منقطع.

وقد روي عن الحسن وقناة وغيرهما نحو ذلك، وهو خلاف الظاهر من الآية، فإنه قال: { فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنْ وَأَسَرْحُكُنْ سَرَاحًا جَمِيلًا } أي: أعطينك حقوقهن، وأطلق سراحهن، وقد اختلف العلماء في جواز تزوج غيره لهن، لو طلقهن، على قولين، أصحهما: نعم، لو وقع؛ ليحصل المقصود من السراح، والله أعلم.

قال عكرمة: وكان تحته يومئذ تسع نسوة:

- خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة رضي الله عنهن، وكانت تحته صلى الله عليه وسلم صفية بنت حبي النضيرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت حوش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، رضي الله عنهن وأرضاهن جميعاً.

يُنْسَاءُ إِنَّنِي مَنْ يَأْتِ مِنْكُرَ بِقَاحِشَةِ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا إِلْعَدَابُ صِغَقَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِ إِنَّمَا يَسِيرًا 30 *
وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَغْتَدِنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا 31

يقول الله تعالى واعطا نساء النبي صلى الله عليه وسلم الاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقر أمرهن تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء؛ بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة. قال ابن عباس رضي الله عنهم: وهي النشوز وسوء الخلق، وعلى كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الواقع؛ كقوله تعالى:

{ وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ إِلَّا لَذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشَرَكْتَ لَيَخْبَطَنَ عَمَلَكَ } [الزمر: 65] وكقوله عز وجل:
{ وَلَوْ أَشَرَكُوا لَحِيطًا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: 88]

{ فُلْ إِنْ كَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوْلُ الْعَبْدِينَ } [الزخرف: 81]
{ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَضْطَلَقَ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ
هُوَ اللَّهُ الْوَحِيدُ الْفَهَارُ } [الزمر: 4] فلما كانت محلتهن رفيعة، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهم مغلظاً: صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع، ولهذا قال تعالى: { مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ يَقْاْحِشُهُ مُبِيْنَهُ يُصَاعِفُ لَهَا الْعَدَابُ ضَعْفَيْنَ }
 قال مالك عن زيد بن أسلم: { يُصَاعِفُ لَهَا الْعَدَابُ ضَعْفَيْنَ } قال: في الدنيا والآخرة، وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله، { وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } أي: سهلاً هيناً، ثم ذكر عدله وفضله في قوله: { وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ } أي: يطع الله ورسوله ويستحب، { تُؤْتَهَا أَجْرُهَا مَرَّيْنَ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيْمًا } أي: في الجنة؛ فإنهم في منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى عاليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش.

تفسير تفسير القرآن الكريم/ ابن كثير (ت 774 هـ) مصنف و مدقق
{ يُنْسَاءُ النَّبِيِّ لَسْنُهُ كَاحِدٌ مِّنَ النِّسَاءِ إِنَّ تَقْيِينَ فَلَا تَحْصَعْنَ
بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا } * 32 }

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ
الصَّلَاةَ وَاتِّنَ الْرِّكَاةَ وَأَطْعِنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الْرِّحْسَنَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا } * 33
{ وَذَكْرَنَ مَا يُتَلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَلِحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا } 34

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال تعالى مخاطباً لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن، فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة،

ثم قال تعالى: { فَلَا تَحْصَعْنَ بِالْقَوْلِ } قال النبي وغيره: يعني بذلك: ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال، ولهذا قال تعالى: { فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } أي: دغل،

{ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا } قال ابن زيد: قوله: قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخييم، أي: لاتخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

وقوله تعالى: { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ } أي: إلزمن بيوتكن، فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"لَا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجن وهن تغلاط"**

وفي رواية: **" وبيوتهن خير لهن "**

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا حميد بن مسعة، حدثنا أبو رجاء الكلبي روح بن المسيب ثقة، حدثنا ثابت البناي عن أنس رضي الله عنه قال: جئن النساء إلى رسول الله، فقلن: يارسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى، فما لنا عمل

ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قعدت — أو كلمة نحوها — منك في بيتها، فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى" ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت إلا روح بن المسيب، وهو رجل من أهل البصرة مشهور.

وقال البزار أيضاً: حدثنا محمد بن المثنى، حدثني عمرو بن عاصم، حدثنا همام عن قتادة عن مورق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْمَرْأَةَ عُورَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ، اسْتَشْرِفَهَا الشَّيْطَانُ، وَأَقْرَبَ مَا تَكُونُ بِرُوحَةِ رِبِّهَا، وَهِيَ فِي قَعْدَتِهَا"

رواه الترمذى عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه.

وروى البزار بـإسناده المقدم، وأبو داود أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي مَحْدُودِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا، وَصَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حِجْرَتِهَا" وهذا إسناد جيد.

وقوله تعالى: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ لَجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية. وقال قتادة: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ لَجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } يقول: إذا خرجن من بيوتكن، وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج، فنهى الله تعالى عن ذلك.

وقال مقاتل بن حيان: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ لَجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشدد، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، وبيدو ذلك كلها منها، وذلك التبرج، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج.

وقال ابن جرير: حدثني ابن زهير، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا داود يعني بن أبي الفرات، حدثنا علي بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تلا هذه الآية: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ لَجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } قال: كانت فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإن بطنيين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صياحاً، وفي النساء دمامنة. وكان نساء السهل صياحاً وفي الرجال دمامنة، وإن إبليس لعنه الله أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، فكان يخدمه، فاتخذ إبليس شيئاً من مثل الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله، فيبلغ ذلك من حوله، فانتابوهم يسمعون إليه، وانخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فيتبرج النساء للرجال، قال: ويترzin الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء وصاحتنهن، فأتى أصحابه، فأخبرهم بذلك، فتحولوا إليهن، فنزلوا معهن، وظهرت الفاحشة فيهن، فهو قول الله تعالى: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ لَجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }.

وقوله تعالى: { وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَءَاتِيَنَ لِرَكْوَةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } نهاهن أولاً عن الشر، ثم أمرهن بالخير، من إقامة الصلاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة، وهي الإحسان إلى المخلوقين، { وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } وهذا من باب عطف العام على الخاص.

وقوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لِرْجُسَ أَهْلَ لُبْيَتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا } وهذا نص في دخول أزواجه النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت هننا؛ لأنهن سبب

نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قوله واحداً، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح.

وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لِرْجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ} نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة.

وهكذا روى ابن أبي حاتم قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لِرْجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ} قال: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة.

وقال عكرمة:

- من شاء باهله أنه نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن، صحيح،
- وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن، فيه نظر، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك:

1 (الحديث الأول): قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا علي بن زيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: **"الصلاه يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً"** رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عفان به. وقال: حسن غريب.

2 (حديث آخر) قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبو نعيم، حدثنا يونس عن أبي إسحاق، أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر، جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما، فقال: **"الصلاه الصلاه، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً"** أبو داود الأعمى هو نفيع بن الحارث كذاب.

3 (حديث آخر) وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، حدثنا شداد أبو عمارة قال: دخلت على واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، وعنه قوم، فذكروا علياً رضي الله عنه فشتموه، فشتمته معهم، فلما قاموا قال لي: شتمت هذا الرجل؟ قلت: قد شتموه فشتمته معهم، لا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: بل، قال: أتيت فاطمة رضي الله عنها أسلالها عن علي رضي الله عنه، فقالت: توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم، آخذ كل واحداً منهم بيده حتى دخل، فأدلى علياً وفاطمة رضي الله عنهما، وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منها على فخذه ثم لف عليهم ثوبه، أو قال: كسايه، ثم تلا على الله عليه وسلم هذه الآية: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لِرْجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً} وقال: **"اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق"**.

4 وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير عن الوليد بن مسلم، عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه، زاد في آخره: قال واثلة رضي الله عنه: فقلت: وأنا يا رسول الله صلى الله عليك من أهلك؟ قال صلى الله عليه وسلم: **"وأنت من أهلي"** قال واثلة رضي الله عنه: وإنها من أرجى ما أرجي.

5: ثم رواه أيضاً عن عبد الأعلى بن واصل عن الفضل بن دكين، عن عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن شداد أبي عمار قال: إني لجالس عند واثلة بن الأسعق رضي الله عنه، إذ ذكروا علياً رضي الله عنه، فشتموه، فلما قاموا، قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه: إني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم، فألقى صلى الله عليه وسلم عليهم كساء له، ثم قال لهم: **"اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا"**

قلت: يارسول الله وأنا؟ قال صلى الله عليه وسلم **"وأنت"** قال: فوالله إنها لأوثق عمل عندي.

6 (حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح، حدثني من سمع أم سلمة رضي الله عنها تذكر: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها، فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة، فدخلت عليه بها، فقال صلى الله عليه وسلم لها: **"ادعِ زوجك وابنيك"** قالت: فجاء علي وحسن وحسين رضي الله عنهم، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له، وكان تحته صلى الله عليه وسلم كساء خيري، قالت: وأنا في الحجرة أصلبي، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الْرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا } قالت رضي الله عنها: فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء، فغطاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء ثم قال: **"اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصةي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا"** قالت: فأدخلت رأسي البيت، قلت: وأنا معكم يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم **"إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ"** في إسناده من لم يسم، وهو شيخ عطاء، وبقية رجاله ثقات.

7 (طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا مصعب بن المقداد، حدثنا سعيد بن زري عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة، تحملها على طبق، فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال: **"أين ابن عمك وابنائك؟"** فقالت رضي الله عنها: في البيت، فقال صلى الله عليه وسلم **"ادعِيهم"** ، فجاءت إلى علي رضي الله عنه فقالت: أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وابنائك، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما رأهم مقبلين، مد صلى الله عليه وسلم يده إلى كساء كان على المنامة، فمدده وبسطه، وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربع بشماله، فضممه فوق رؤوسهم، وأوهما بيده اليمنى إلى ربه فقال: **"اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا."**

8 (طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن عبد القodos، عن الأعمش عن حكيم بن سعد قال: ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة رضي الله عنها، فقالت: في بيتي نزلت: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الْرَّجْسَ أَهْلَ

لَبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } قالت أم سلمة: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتي، فقال: " **لَنَادَنِي لَأَهْدِ** " فجاءت فاطمة رضي الله عنها، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن رضي الله عنه، فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه، ثم جاء الحسين، فلم أستطع أن أحجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمه رضي الله عنها، ثم جاء علي رضي الله عنه، فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا، فجللهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه، ثم قال: " **هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَادْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهُرْهُمْ تَطْهِيرًا** " فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط، قالت: فقلت: يارسول الله وأنا؟ قالت: فوالله ما أنعم، وقال: " **إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ** ".

9: (طريق أخرى) قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاوي عن أبيه قال: إن أم سلمة رضي الله عنها حدثته قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوماً، إذ قالت الخادم: إن فاطمة وعلياً رضي الله عنهما بالسدة، قالت: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم " **قَوْمِي فَتَنَحِيْ عَنْ أَهْلِ بَيْتِي** " قالت: فقمت فتنحيت في البيت قريباً، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضي الله عنهم، وهما صبيان صغيران، فأخذ الصبيان فوضعهما في حجره فقبلهما، واعتنق علياً رضي الله عنه بإحدى يديه، وفاطمة رضي الله عنها باليد الأخرى، وقبل فاطمة، وقبل علياً، وأغدق عليهم خميصة سوداء، وقال: " **اللَّهُمَّ إِلَيْكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** " قالت: وأنا يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم " **أَنْتَ أَنْتَ أَهْلُ بَيْتِي** " قالت: فقلت: وأنا يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم " **إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، أَنْتَ مِنْ أَرْوَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** " قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم.

10: (طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا الحسن بن عطية، حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: إن هذه الآية نزلت في بيتي: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لَرْجُسَ أَهْلَ لَبَيْتٍ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: يارسول الله ألسنت من أهل البيت؟ فقال صلى الله عليه وسلم " **إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، أَنْتَ مِنْ أَرْوَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** " قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم.

11: (طريق أخرى) رواها ابن جرير أيضاً عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضي الله عنها بنحوه.

12: (طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد، حدثني موسى بن يعقوب، حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال: أخبرتني أم سلمة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جأر إلى الله عز وجل ثم قال: " **هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي** " قالت أم سلمة رضي الله عنها: فقلت: يارسول الله أدخلني معهم، فقال صلى الله عليه وسلم " **أَنْتَ مِنْ أَهْلِي** ".

13: (طريق أخرى) رواه ابن جرير أيضاً عن أحمد بن محمد الطوسي، عن عبد الرحمن بن صالح، عن محمد بن سليمان الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة عن أمه رضي الله عنها، بنحو ذلك.

14: (طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثنا أبو كُرْبَبَ، حدثنا مصعب بن المقداد، حدثنا سعيد بن زربي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن أم سلمة قالت: جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة، تحملها على طبق، فوضعتها بين يديه فقال: **"أين ابن عمك وابناك؟"** فقالت: في البيت، فقال:

"ادعهم" ، فجاءت إلى علي فقالت: أجب رسول الله أنت وابناك. قالت أم سلمة: فلما رأهم مقبلين، مد يده إلى كساء كان على المنامة، قمده، ويسطه، وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكسae الأربع بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأواماً بيده اليمنى إلى ربه، فقال: **"اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا."**

15: (طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن حكيم بن سعد قال: ذكرنا علي بن أبي طالب عند أم سلمة، فقالت: في بيتي نزلت: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لِرَجْسِ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} قالت أم سلمة: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتي، فقال: **"لَا تَأْذِنِي لِأَحد فِي بَيْتِكَ"** فجاءت فاطمة، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن، فلم أستطع أن أحجبه عن أمه وحده، ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه، ثم جاء علي، فلم أستطع أن أحجبه عن أبيه، فاجتمعوا، فجَلَّلُهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه، ثم قال: **"هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا"** فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط، قالت: فقلت: يارسول الله، وأنا؟ قالت: فوالله ما أنعم، وقال: **"إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ."**

16: (حديث آخر) قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع محمد بن بشير عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة رضي الله عنها: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غدأة، وعليه مرط مرحلا من شعر أسود، فجاء الحسن رضي الله عنه، فأدخله معه، ثم جاء الحسين، فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها معه، ثم جاء علي رضي الله عنه، فأدخله معه، ثم قال صلى الله عليه وسلم **"{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ لِرَجْسِ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}**" رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشير به.

17: (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم: حدثنا سريج بن يونس أبو الحارت، حدثنا محمد بن يزيد عن العوام، يعني: ابن حوشب رضي الله عنه، عن عم له قال: دخلت مع أبي على عائشة رضي الله عنها، فسألتها عن علي رضي الله عنه، فقالت رضي الله عنها: تسلّني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تحته ابنته، وأحب الناس إلى الله؟ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم، فألقى عليهم ثوباً فقال: **"اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا"** قالت: فدنوت منهم فقلت: يارسول الله وأنا من أهل بيتك؟ فقال صلى الله عليه وسلم **"تَحِي فِي إِنَكَ عَلَى خَيْرٍ"**

18: (حديث آخر) قال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي، حدثنا مندل عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي خَمْسَةٍ: فِي وَفِي عَلَى وَحْسَنْ**

وحسين وفاطمة: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الْرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا }

قد تقدم أن فضيل بن مزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها كما تقدم. وروى ابن أبي حاتم من حديث هارون بن سعد العجلي عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه موقوفاً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

19: (حديث آخر) قال ابن جرير: حديثنا ابن المثنى، حديثنا أبو بكر الحنفي، حديثنا بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد رضي الله عنه قال: قال سعد رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي، فأخذ عليناً وابنيه وفاطمة رضي الله عنهم، فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: **"رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي"**.

20 (حديث آخر) وقال مسلم في " صحيحه": حديثي زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جمِيعاً عن ابن عليه، قال زهير: حديثنا إسماعيل بن إبراهيم، حديثي أبو حيان، حديثي يزيد بن حبان قال: انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه، فلما جلسنا إليه، قال له حسين: لقد لقيت، يا زيد، خيراً كثيراً؛ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حديثنا، يا زيد، ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: يا بن أخي والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسبيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلاوا، وما لا فلا تكلفونيه،

ثم قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً بماء يدعى خمأ، بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ووعظ ذكر، ثم قال: **"أَمَا بَعْدُ، أَلَا أَيْهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَاجِبٌ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيْكُمْ شَقِيلٍ: أَوْلَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخَذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوْ بِهِ"** فتح على كتاب الله عز وجل، ورحب فيه، ثم قال: **"وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي"** ثلاثة، فقال له (*له يعني لزيد*) حسین: ومن أهل بيته، يا زيد؟ أليس نساوئه من أهل بيته؟ قال: نساوئه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم،

قال: كل هؤلاء حرم الصدقة بعده؟ قال: نعم.

ثم رواه عن محمد بن بكار بن الريان عن حسان بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن **زيد بن أرقم** رضي الله عنه، فذكر الحديث بنحو ما تقدم، وفيه: فقلت له: من أهل بيته، نساوئه؟ قال: لا، وایم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها، **أَهْلُ بَيْتِهِ أَصْلَهُ وَعَصْبَتِهِ الَّذِينَ حَرَمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ**. هكذا وقع في هذه الرواية، والأولى أولى، والأخذ بها أخرى. وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه، إنما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا الاحتمال أرجح؛ جمعاً بينها وبين الرواية التي قبلها، وجمعاً أيضاً بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت، فإن في بعض أسانيدها نظراً، والله أعلم،

ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن: أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داولات في قوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ أَهْلَ الْرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا قوله: { وَدُكْرَنَ مَا يُنْلَى فِي بَيْوِتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ } أي: واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التي خصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاًهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنية، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة، فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها، كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه.

قال بعض العلماء رحمه الله: لأنه لم يتزوج بكرًا سواها، ولم ينم معها رجل في فراشها سواه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها، فناسب أن تخصص بهذه المزية، وأن تفرد بهذه المرتبة العليا، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته، فقرباته أحق بهذه التسمية؛ كما تقدم في الحديث: **"أَهْلُ بَيْتِ أَحَقٍ"** وهذا ما يشبه ما ثبت في " صحيح مسلم " : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال: **"هُوَ مَسْجِدُهُذَا"** فهذا من هذا القبيل، فإن الآية إنما نزلت في مسجد قباء؛ كما ورد في الأحاديث الأخرى، ولكن إذا كان ذاك أساس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتسميته بذلك، والله أعلم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن أبي جميلة قال: إن الحسن بن علي رضي الله عنهمما استخلف حين قتل علي رضي الله عنهمما، قال: فيبينما هو يصلى، إذ وثب عليه رجل، فطعنه بخنجره، وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد، وحسين رضي الله عنه ساجد. قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه، فمرض منها أشهرًا، ثم برأ، فقعد على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فيينا، فإننا أمراؤكم وضيافانكم، ونحن أهل البيت الذي قال الله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ أَهْلَ الْرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } قال: فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يحن بكاءً.

وقال السدي عن أبي الديلم قال: قال علي بن الحسين رضي الله عنهمما لرجل من أهل الشام: أما قرأت في الأحزاب: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ أَهْلَ الْرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } ؟ فقال: نعم، ولأنتم هم ؟ قال: نعم.

وقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا حَيْرًا } أي: بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة، وبخبرته بكن وأنكن أهل لذلك أعطاكن ذلك، وخصكن بذلك. قال ابن جرير رحمه الله: واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه،

{ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا حَيْرًا } أي: ذا لطف بكن، إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة، وهي السنة. حييرًا بكن، إذ اختاركن لرسوله أزواجاً.

وقال قتادة: { وَذُكْرُنَ مَا يُتَلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ } قال: يمتن عليهن بذلك، رواه ابن جرير.

وقال عطية العوفي في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا حَبِيرًا } يعني: لطيفاً باستخراجها، حبيراً بموضعها، رواه ابن أبي حاتم، ثم قال: وكذا روي عن الربيع بن أنس عن قتادة.

35

{ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْحَسِنَاتِ وَالْحَسِنَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجُهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالْدَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالْدَّاكِرَاتِ أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَخْرَأْ عَطِيَّمًا }

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عثمان بن حكيم، حدثنا عبد الرحمن بن شيبة قال: سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر، وأنا أسرح شعري، فللفت شعري، ثم خرجت إلى حجرتي حجرة بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَسِنَينَ وَالْحَسِنَاتِ }** إلى آخر الآية، وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله.

(طريق آخر عندها) قال النسائي أيضاً: حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا سعيد، أخبرنا عبد الله بن شريك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يانبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن، والنساء لا يذكرون؟ فأنزل الله تعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَسِنَينَ وَالْحَسِنَاتِ } وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي معاوية، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة: أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أبذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر؟ فأنزل الله تعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَسِنَينَ وَالْحَسِنَاتِ } الآية.

(طريق آخر) قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجح عن مجاهد قال: قالت أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله أبذكر الرجال ولا نذكر، فأنزل الله تعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَسِنَينَ وَالْحَسِنَاتِ } الآية.

(حديث آخر) قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا سيار بن مظاير العنزي، حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبي طبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات؟

فأنزل الله تعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَسِينَ وَالْحَسِينَاتِ } الآية، وحدثنا بشر حدثنا يزيد، حدثنا سعيد عن قتادة قال: دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقلن: قد ذكرن الله تعالى في القرآن، ولم نذكر بنشيء، أما فينا ما يذكر؟ فأنزل الله تعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَسِينَ وَالْحَسِينَاتِ } الآية، قوله تعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } دليل على أن الإيمان غير الإسلام، وهو أخص منه؛ لقوله تعالى:

« قَالَتِ الْأَغْرَابُ إِعْمَانًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُوْلًا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَذْهُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ » [الحجرات: 14]. وفي "ال الصحيحين": " لا يزني **الرَّانِي** حين يزني وهو مؤمن" فيسلبه الإيمان، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين، فدل على أنه أخص منه كما قررناه أولاً في شرح البخاري.

وقوله تعالى: { وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَاتِ } القنوت: هو الطاعة في سكون:
« أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ إِعْنَاءَ الْلَّيلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَخْدُرُ الْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ » [الزمر: 9] وقال تعالى:
« وَلَهُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ لَهُ قَنِينُونَ » [الروم: 26]
« يَمْرِئُمْ قُنْتِي لِرَبِّكِ وَسُجْدَى وَرَكْعَى مَعَ الْرُّكُعَيْنَ » [آل عمران: 43]

« وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ » [البقرة: 238]

فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها، وهو الإيمان، ثم القنوت ناشيء عنهم، { وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ } هذا في الأقوال، فإن الصدق خصلة ممودة، ولهذا كان بعض الصحابة رضي الله عنهم لم تجرب عليهم كذبة، لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أماره على النفاق، ومن صدق نجا، "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإنكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".

والأحاديث فيه كثيرة جداً، { وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ } هذه سجية الأئمبات، وهي الصبر على المصائب، والعلم بأن المقدر كائن لا محالة، وتلقي ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمة الأولى، أي: أصعبه في أول وهلة، ثم ما بعده أسهل منه، وهو صدق السجية وثباتها،

{ وَلَحِشِعْيَنَ وَلَحِشِعَتِ } الخشوع: السكون والطمأنينة، والتؤدة واللوقار، والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته؛ كما في الحديث: "اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك" ،

{ وَلِمُتَصَدِّقِينَ وَلِمُتَصَدِّقَاتِ } الصدقة هي الإحسان إلى الناس المحاوِّج الضعفاء الذين لا كسب لهم، ولا كاسب، يعطون من فضول الأموال؛ طَاعَة لِللهِ، وَإِحْسَانًا إِلَى خلقه.

— وقد ثبت في "الصححين": "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا طله —
ذكر منهم — ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شملة ما تنفق
يسميه"

وفي الحديث الآخر: "والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار" .

والآحاديث في الحث عليها كثيرة جداً له موضع بذاته،

وَالصَّوْمُ زَكَاةُ الْبَدْنِ { وَالصَّائِمَاتِ } وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهُ: **وَالصَّوْمُ زَكَاةُ الْبَدْنِ**
أَيْ: يَزْكِيهِ وَيُطْهِرُهُ، وَيُنْقِيَهُ مِنَ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ طَبِيعًا وَشَرْعًا؛ كَمَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبَرِ:
مِنْ صَامَ رَمَضَانَ وَثَلَاثَةَ أَيَّامَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، دَخَلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَالصَّائِمَاتِ } وَالصَّائِمَاتِ
وَالصَّائِمَاتِ } وَلَمَّا كَانَ الصَّوْمُ مِنْ أَكْبَرِ الْعُوَنِ عَلَى كَسْرِ الشَّهْوَةِ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا مُعَاشِ الشَّيْبَابِ مِنْكُمْ الْبَاءَةُ فَلِيَتَرُوْجُ،**
فَإِنَّهُ أَغْنَى لِلْبَصَرِ، وَأَحْسَنَ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ
وَجَاءَ نَاسِبٌ أَنْ يَذَكُرَ بَعْدَهُ: { وَالصَّائِمَاتِ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ } أَيْ: عَنِ الْمُحَارِمِ وَالْمَائِمَ، إِلَّا عَنِ الْمَبَاحِ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَيْنُ مَلُومِينَ فَمَنِ إِبْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأَوْلَئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ { [المؤمنون: 5 — 7].

وقوله تعالى: { وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ } قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عبيد الله، حدثنا محمد بن جابر عن علي بن الأق默 عن الأغر أبي مسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل، فصلها ركعتين، كُتُبَا تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ " وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن علي بن الأق默 عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قلت: يارسول الله أي العباد أفضلي درجة عند الله تعالى يوم القيمة؟ قال صلى الله عليه وسلم "الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات " قال: قلت: يارسول الله ومن الغاري في سبيل الله تعالى؟ قال: "لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويتحضب دمًا، لكان الذاكرون الله تعالى أفضلي منه ". وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة، فأتى على جمدان، فقال: "هذا جمدان، سيروا، فقد سبق المفردون " قالوا: وما المفردون؟ قال صلى الله عليه وسلم "

الذاكرون الله كثيراً والذاكرات " ثم قال صلى الله عليه وسلم " اللهم اغفر للمحلقين قالوا: والمقصرين؟ قال صلى الله عليه وسلم " اللهم اغفر للمحلقين قالوا: والمقصرين؟ قال: " **والمقصرين** " تفرد به من هذا الوجه، ورواه مسلم دون آخرين.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال: إنه بلغني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" ماعمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل " وقال معاذ رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأركها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم عدواً فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** " قالوا: بل يارسول الله، قال صلى الله عليه وسلم " **ذكر الله عز وجل** "

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن رجلاً سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجرًا يارسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم " **أكثرهم لله تعالى ذكراً** " قال: فأي الصائمين أكثر أجرًا؟ قال صلى الله عليه وسلم " **أكثرهم لله عز وجل ذكراً** " ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك يقول رسول الله: " **أكثرهم لله ذكراً** " فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **أجل** " وسند ذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ذَكُرُوا اللَّهَ ذَكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصْبِلُوا } { [الأحزاب: 41 — 42] الآية، إن شاء الله تعالى. قوله تعالى: { أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم، أي: إن الله تعالى قد أعد لهم أي: هياً لهم مغفرة منه لذنبهم، وأجرًا عظيمًا، وهو الجنة.

{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمْ لَحْيَرَةٌ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُّبِينًا } 36

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ } الآية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاة زيد بن حارثة رضي الله عنه، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها، فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **بَلِي فَانكحْهِ** " قالت: يارسول الله أؤامر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان، أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا } الآية، قالت: قد رضيته لي يارسول الله منكحًا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **نَعَمْ** " قالت: إِذَا لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي.

وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهمما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضي الله عنه، فاستنكرت منه وقالت: أنا خير منه حسبياً، وكانت امرأة فيها حدة، فأنزل الله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ } الآية كلها، وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيyan: إنها نزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فامتنعت ثم أجبت. وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها، وكانت أول من هاجر من النساء، يعني: بعد صلح الحديبية، فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد قبلت، فزوجها زيد ابن حارثة رضي الله عنه، بعد فراقه زينب، فسخطت هي وأخوها، وقال: إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده، قال: فنزل القرآن: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا } إلى آخر الآية، قال: وجاء أمر أجمع من هذا: { اللَّهُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ } [الأحزاب: 6] قال: فذاك خاص، وهذا أجمع.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن ثابت البناي عن أنس رضي الله عنه، قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فَنَعَمْ إِذَا " قال: فانطلق الرجل إلى امرأته، فذكر ذلك لها، قالت: لها الله إذن، ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبياً، وقد منعناها من فلان وفلان؟ قال: والجارية في سترها تسمع، قال: فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقالت الجارية: أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره، إن كان قد رضي به لكم، فأنكحوه، قال: فكانها جلت عن أبيها، وقال: صدقت، فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنت رضيته، فقد رضيناها، قال صلى الله عليه وسلم: " فَإِنِّي قَدْ رَضِيْتُه " قال: فزوجها، ثم فزع أهل المدينة، فركب جليبيب، فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس رضي الله عنه: فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت بالمدينة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، يعني: ابن سلمة، عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوبي، عن أبي بربة الأسلمي قال: إن جليبياً كان امراً يدخل على النساء، يمر بهن ويلاعبهن، فقلت لامرأتى: لا تدخلن اليوم عليكين جليبياً، فإنه إن دخل عليكين، لأفعلن ولأفعلن، قالت: وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم، لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار: " زوجني ابنتك " قال: نعم وكرامة يارسول الله ونعمت عين، فقال صلى الله عليه وسلم: " إِنِّي لَسْتُ أَرِيدُهَا لِنَفْسِي " قال: فلمن يارسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: " لِجَلِيبِيْبَ " فقال: يارسول الله أشاور أمهما، فأتى أمهما، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك؟ قالت: نعم ونعمت عين، فقال: إنه ليس يخطبها لنفسه، إنما يخطبها لجليبيب، قالت: أجليبيب إنيه؟ أجليبيب إنيه؟ لا لعمر الله لا نزوجه، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت أمهما، قالت الجارية: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمهما، قالت: أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره؟ ادفعوني إليه، فإنه لن يضيعني، فانطلق أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

شأنك بها، فزوجها جليبياً، قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة له، فلما أفاء الله عليه، قال لأصحابه رضي الله عنهم: **«هل تفقدون من أحد؟»** قالوا: فقد فلاناً، وفقد فلاناً، قال صلى الله عليه وسلم: **«انظروا هل تفقدون من أحد»** قالوا: لا. قال صلى الله عليه وسلم: **«لكنني أ فقد جليبياً»** قال صلى الله عليه وسلم: **«فاطلبوه في القتل»** فطلبوه، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوا، فقالوا: يارسول الله ها هؤلاء إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوا، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه فقال: **«قتل سبعة وقتلوا، هذا مني وأنا منه** مررتين أو ثلاثة، ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه، وحفر له، ما له سرير إلا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم وضعه في قبره، ولم يذكر أنه غسله رضي الله عنه، قال ثابت رضي الله عنه: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها. وحديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتًا: هل تعلم ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **«اللهم صب عليها الخير صباً، ولا تجعل عيشها كداً»** وكذا كان، فما كان في الأنصار أيم أنفق منها، هكذا أورده الإمام أحمد بطوله، وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتلها. وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في "الاستيعاب": أن الجارية لما قالت في خدرها: أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره؟ نزلت هذه الآية: **{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمْ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ }**.

وقال ابن جريج: أخبرني عامر بن مصعب عن طاوس قال: إنه سأله ابن عباس عن ركعتين بعد العصري، فنهاه، وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: **{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمْ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ }** فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هنا، ولا رأي ولا قول: كما قال تبارك وتعالى: **{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّونَهُ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }** [النساء: 65] وفي الحديث: **«والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هوه تبعاً لما جئت به»** ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: **{ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا }** كقوله تعالى: **{ فَلَيَخُذِّلَ اللَّذِينَ يُخْلِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }** [النور: 63].

{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّهِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ رَوْحَكَ وَإِنَّكَ لِلَّهِ وَتُخْفِي فِي تَفْسِكَ مَا لِلَّهِ مُنْدِيهِ وَتَخْشِي النَّاسَ وَلِلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى رَيْدُ مُنْهَا وَطَرَأْ رَوْحَنَا كَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ يُفَرِّجُ أَرْوَاجَ أَذْعِيَّا تَهْمَمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَأْ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً } 37

يقول تعالى مخبراً عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال لموهاب زيد بن حaritha رضي الله عنه، وهو الذي أنعم الله عليه، أي: بالإسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم **{ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ }** أي: بالعتق من الرق، وكان سيداً كبيراً الشأن، جليل القدر، حبيباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له: الحب، ويقال لابنه أسامة: الحب بن الحب، قالت

عائشة رضي الله عنها: ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه، رواه الإمام أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد ابن عبيد عن وائل بن داود عن عبد الله البهبي عنها.

وقال البزار: حدثنا خالد بن يوسف، حدثنا أبو عوانة، "ح" وحدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو عوانة، أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال: حدثني أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنت في المسجد، فأتاني العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقال: يا سامة استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أدرى ما حاجتهما؟"** قلت: لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم: **"لكني أدرى"** قال: فأذن لهما، قال: يارسول الله جئناك لتخبرنا: أي أهلك أحب إليك؟ قال صلى الله عليه وسلم: **"أحب أهلي إلى فاطمة بنت محمد"** قال: يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة، قال صلى الله عليه وسلم: **"فأسامة بن زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه، وأنعمت عليه"** وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه بابنته عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً وملحفة ودرعاً، وخمسين مداً من طعام، وعشرة أمداد من تمر، قاله مقاتل بن حيان، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما، فجاء زيد ليشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: **"امسک عليك زوجك، واتق الله"**

قال الله تعالى: { وَتُحْفِي فِي نَفْسِكَ مَا لِلَّهِ مُبْدِيهِ وَتَحْسَنِي لِلنَّاسَ وَلِلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَحْسَأْ } ذكر ابن أبي حاتم وابن حجر رهنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم، أحبنا أن نضرب عنها صفحأً لعدم صحتها، فلا نوردها.

وقد روى الإمام أحمد هنا أيضاً حديثاً من رواية حماد بن زيد عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً.

وقد روى البخاري أيضاً بعضاً مختصراً فقال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا معلى بن منصور عن حماد بن زيد، حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن هذه الآية: { وَتُحْفِي فِي نَفْسِكَ مَا لِلَّهِ مُبْدِيهِ } نزلت في زيد، حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن هذه الآية: { وَتَقِّل لِلَّهِ وَتُحْفِي فِي نَفْسِكَ مَا } نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق، حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سأله علي بن الحسين رضي الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى: { وَتُحْفِي فِي نَفْسِكَ مَا لِلَّهِ مُبْدِيهِ } فذكرت له، فقال: لا، ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجاً قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه، قال: **"اتق الله وأمسك عليك زوجك"** فقال: قد أخبرتك أني مزوجها، وتحفي في نفسك ما الله مبديه. وهكذا روى عن السدي أنه قال نحو ذلك.

وقال ابن حجر: حدثنا إسحاق بن شاهين، حدثني خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت: لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله تعالى، لكتم: { وَتُحْفِي فِي نَفْسِكَ مَا لِلَّهِ مُبْدِيهِ وَتَحْسَنِي لِلنَّاسَ وَلِلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَحْسَأْ } وقوله تعالى: { قَلَّمَا قَصَّيْ رَيْدَ مِنْهَا وَطَرَأْ رَوْجَنَّا كَهْ } الوطر: هو الحاجة

والأرب، أي: لما فرغ منها وفارقها، زوجناها، وكان الذي ولّ تزويجها منه هو الله عز وجل، بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولّ ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر.

قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، يعني: ابن القاسم، أبو النصر، حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزید بن حارثة: **«اذهب فاذكرها على»** فانطلق حتى أتاهما، وهي تخرم عجينها، قال: فلما رأيتها، عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها، فوليتها ظهري، ونکصت على عقبي، وقلت: يا زينب أبشرني، أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربّي عز وجل، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته، فجعل صلى الله عليه وسلم يتبع حجر نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا، أو أخبر، فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، فألقى الستر بيديه وبينه، ونزل الحجاب، وواعظ القوم بما وعظوا به: **«لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ»** [الأحزاب: 53] الآية كلها، ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به.

وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي، فتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات، وقد قدمنا في سورة النور عن محمد بن عبد الله بن جحش قال: تفاخرت زينب وعائشة رضي الله عنهما، فقالت زينب رضي الله عنها: أنا الذي نزل تزويجي من السماء، وقالت عائشة رضي الله عنها: أنا التي نزل عذري من السماء، فاعترفت لها زينب رضي الله عنها. وقال ابن حجر: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال: كانت زينب رضي الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إنني لأدل عليك بثلاث، وما من نسائك امرأة تدل بهن:

- إن جدي وجدك واحد،
- وإنني أنكحنيك الله عز وجل من السماء،
- وإن السفير جبريل عليه الصلاة والسلام.

وقوله تعالى: **«لَكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَرْوَاجِ أَذْعِيَّاهُمْ إِذَا قَصَّوْا مِنْهُنَّ وَطَرَأً»** أي: إنما أبتحنا لك تزويجها، وفعلنا ذلك؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبني زيد بن حارثة رضي الله عنه، فكان يقال له: زيد بن محمد، فلما قطع الله تعالى هذه النسبة يقوله تعالى: **«وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَّاهُمْ أَبْنَاءَكُمْ»** — إلى قوله تعالى — **«لَذُعُوهُمْ لَأَبْنَاهُمْ هُوَ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ»** ثم زاد ذلك بياناً وتأكيداً بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها، لما طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه، ولهذا قال تعالى في آية التحرير: **«وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمْ لَذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ»** [النساء: 23] ليحترز من الابن الداعي، فإن ذلك كان كثيراً فيهم. قوله تعالى: **«وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ**

مَفْعُولًا } أي: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه، وهو كائن لامحالة، كانت زينب رضي الله عنها في علم الله ستتصير من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

{ مَا كَانَ عَلَىٰ لَنَّبِيٍّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةً لِلَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا } 38

يقول تعالى: { مَا كَانَ عَلَىٰ لَنَّبِيٍّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ } أي: فيما أحل له، وأمره به من تزويج زينب رضي الله عنها التي طلقها دعيه زيد بن حارثة رضي الله عنه. وقوله تعالى: { سُنَّةً لِلَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ } أي: هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصاً في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه، { وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا } أي: وكان أمره الذي يقدره كائناً لا محالة، وواعقاً لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

{ الَّذِينَ يُتَلَّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْسُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا } 39* **{ مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }** 40

يمدح تبارك وتعالى { الَّذِينَ يُتَلَّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْسُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا } أي: إلى خلقه، ويؤدونها بأماناتها، رسالات الله تعالى، { وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا } أي: وكفى بالله ناصراً ومعيناً، وسيد الناس في هذا المقام، بل وفي كل مقام، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قام باداء الرسالة، وإبلاغها إلى أهل المغارب والمغارب، إلى جميع أنواعبني آدم، وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو صلى الله عليه وسلم فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف: 151] ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يحررن أحدكم نفسه؛ أن يرى أمر الله فيه مقال، ثم لا يقول، فيقول الله: ما يمنعك أن تقول فيه؟ فيقول: رب خشيت الناس، فيقول: فأنا أحق أن يخشى " ورواه أيضاً عن عبد الرزاق عن الثوري عن زيد عن عمرو بن مرة. ورواه ابن ماجه عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير وأبي معاوية، كلاهما عن الأعمش به.

وقوله تعالى: { مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ } نهى أن يقال بعد هذا: زيد بن محمد، أي: لم يكن أباً، وإن كان قد تبناه، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضي

الله عنها، فماتوا صغاراً، وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضاً رضيوا، وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين، فماتت في حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث، وتأخرت فاطمة رضي الله عنها حتى أصيّبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لستة أشهر. وقوله تعالى: { وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } كقوله عز وجل:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124] فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لنبي بعده، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر الأزدي، حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيلي بن أبي بن كعب عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"مثلي في النبيين كمثل رجل بني داراً، فاحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان، ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة"** ورواه الترمذى عن بندار عن أبي عامر العقدي به، وقال: حسن صحيح.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا المختار بن فلفل، حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعد، ولا نبي"** قال: فشق ذلك على الناس، فقال: **"ولكن المبشرات"** قالوا: يارسول الله وما المبشرات؟ قال: **"رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة"** وهكذا رواه الترمذى عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن عفان بن مسلم به، وقال: صحيح غريب من حديث المختار بن فلفل.

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسى: حدثنا سليم بن حيان عن سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني داراً، فاكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة، فكان من دخلها، فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة، ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"** ورواه البخارى ومسلم والترمذى من طرق عن سليم بن حيان به، وقال الترمذى: صحيح غريب من هذا الوجه.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بني داراً، فاتمها إلا لبنة واحدة، فجئت أنا، فأتممت تلك اللبنة"** انفرد به مسلم من رواية الأعمش به.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عثمان بن عبيد الراسبي قال: سمعت أبا الطفيلي رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

**{ الَّذِينَ يُتَلَّعُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْسُوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ
وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } 39 * { مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ
وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } 40**

" لا نبوة بعدى إلا المبشرات " قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: **" الرؤيا الحسنة "** — أو قال: — **" الرؤيا الصالحة "**. (حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا عمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **" إِنْ مُثْلِي وَمُثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قِبْلِي** كمثل رجل ابنتى بيوناً، فأكملها وأحسنتها وأجملها، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجّبهم البنيان ويقولون: **أَلَا وَضَعْتْ هَهُنَا لَبْنَةَ فِي تَمِيمِ بَنِيَّانِكَ؟** — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فكنت **أَنَا الْلَبْنَةُ**" أخرجاه من حديث عبد الرزاق.

(حديث آخر) عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً. قال الإمام مسلم: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وعلي بن حجر قالوا: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **" فَضَلَّتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتٌ: أُعْطِيَتْ جِوَامِعَ الْكَلْمِ، وَنَصَرَتْ بِالرَّعْبِ، وَأَهْلَتْ لِي الْغَنَائِمَ، وَجَعَلَتْ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَرْسَلَتْ إِلَى الْخُلُقَ كَافَةً، وَخَتَمَ بِي النَّبِيُّونَ**" ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسماعيل بن جعفر، وقال الترمذى: حسن صحيح.

(حديث آخر) وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **" مُثْلِي وَمُثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قِبْلِي كَمْثُلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا، إِلَا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ وَاحِدَةٍ، فَجَئَتْ أَنَا، فَأَتَمَّمْتُ تَلْكَ الْلَبْنَةَ**" ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب، كلاهما عن أبي معاوية به.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، حدثنا سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم **" إِنِّي عَنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّنَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمْ يَحْدُلْ فِي طَبِيَّتِهِ**" . (حديث آخر) قال الزهرى: أخبرنى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **" إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدٌ، وَأَنَا الْمَاحِيُّ الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ تَعَالَى بِيَ الْكُفَّرَ، وَأَنَا الْحَاسِرُ الَّذِي يَحْسِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِيِّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**" أخرجاه في " الصحيحين ".

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة عن عبدالله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالموعد، فقال:

**" أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ الْأَمِيُّ — ثَلَاثًا — وَلَا نَبِيٌّ بَعْدِي، أَوْتَيْتُ فَوَاتِحَ الْكَلْمِ
وَجَوَامِعَهُ وَخَوَاتِمَهُ، وَعَلِمْتُ كُمْ خَزْنَةَ النَّارِ وَحَمْلَةَ الْعَرْشِ، وَتَحْوِزُ بِي،**

**وعوْفِيْتُ وَعَوْفِيْتُ أَمْتِيْ، فَاسْمَعُوْا وَأَطْبِعُوْا مَا دَمْتُ فِيْكُمْ، فَإِذَا ذَهَبْتُ بِيْ،
فَعَلِيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؛ أَحْلَوْا حَلَالَهُ، وَحَرَمُوا حِرَامَهُ** " تفرد به الإمام أحمد

ورواه الإمام أحمد أيضاً عن يحيى بن إسحاق عن ابن لهبعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن سريح الخولاني عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، فذكر مثله سواء، والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتوترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذاب وأفاك دجال ضال مضل، لو تحرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيات، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب؛ كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمنة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحى أنهم كاذبان ضالان، لعنهم الله، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيمة، حتى يختتموا بال المسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكاذبين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرنون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفحور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى:

{ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ ۝ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ }
[الشعراء: 221 — 222] الآية، وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه، ويأمرنون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسموات.

نساء جي معنی عورتون، ان ۝ زال به اچی وئی ته ذيء به اچی وئی، بیون گهر جون عورتون به اچی ویون.

نجد جي عيسائين سان مباھله وقت جدھن حکم ٿيو نساننا و نسانکم و ابناينا و ابنايکم نه رسول الله حضرت فاطمه ۝ حسن ۝ حسین کي گھرايو

**{ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا تَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَثِّهُلْ
فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَىٰ الْكَادِيْنَ } 61* { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصْصُ
الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } 62
* { فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيْمٌ بِالْمُفْسِدِيْنَ } 63 آل عمران 61 الي**

63

قوله تعالى: { فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ } فيه تأويلان: أحدهما: في عيسى.
والثاني: في الحق.

{ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا تَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَثِّهُلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَىٰ الْكَادِيْنَ } والذين دعاهم النبي صلى الله عليه

وسلم إلى المباهلة هم نصارى نجران. وفي قوله: { تَبَّهُلْ } تأويلان: أحدهما: معناه نلتعن.
والثاني: ندعوا بهلاك الكاذب، ومنه قول لبيد:

نظر الدهر
إليهم فابتهل

أي دعا عليهم بالهلاك.

فلما نزلت هذه الآية أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم دعا النصارى إلى المباهلة، فأحجموا عنها، وقال بعضهم لبعض: إن باهلوتهم اضطرم الوادي عليكم ناراً.

الماوردي) آل عمران 61

تفسير الجامع لاحكام القرآن/ القرطبي (ت 671 هـ) مصنف و مدقق

{ قَمْنَ حَاجَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْ تَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَّهُلْ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيَنَ } 61

فيه ثلاثة مسائل:
الأولى - قوله تعالى: { قَمْنَ حَاجَلَ فِيهِ } أي جادلك وخاصمك يا محمد «فيه»، أي في عيسى { مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } بأنه عبد الله ورسوله. { فَقُلْ تَعَالَوْ } أي أقبلوا - وضع لمن له جلالة ورفة ثم صار في الاستعمال لكل داع إلى الإقبال، وسيأتي له مزيد بيان في «الأنعام». { تَدْعُ } في موضع جزم. { أَبْنَاءَنَا } دليل على أن أبناء البنات يسمون أبناء؛ وذلك. **«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِالْحَسَنِ وَالْحَسِينِ وَفَاطِمَةَ تَمْشِي حَلْفَهُ وَعَلَيْ حَلْفَهَا وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّ أَنَا دَعُوتُ فَأَمْنَوْ»** وهو معنى قوله { ثُمَّ تَبَّهُلْ } أي تنتصر في الدعاء؛ عن بن عباس. أبو عبيدة والكسائي: نلتعن. وأصل الآية الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره. قال لبيد:

في كهولٍ سادةٍ نظر الدهر
إليهم فابتهل من قومه

أي **جتهد في إهلاكهم**. يقال: بهله الله أي لعنه. والبهل اللعن. والبهل الماء القليل. وأبهله إذا خليته وإرادته. وبهلهه أيضاً. وحکى أبو عبيدة: بهله الله يبهله بهله أي لعنه. قال بن عباس: هم أهل نجران: السيد والعاقب وبن الحارث رؤساؤهم. { فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيَنَ }.

الثانية: هذه الآية من أعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه دعاهم إلى المباهلة فأبوا منها ورضوا بالجزية بعد أن أعلمهم كثیرهم العاقب أنهم إن باهلوه **اضطرم عليهم الوادي ناراً** فإن **محمد نبی مرسلاً**، ولقد تعلمون أنه جاءكم بالفصل في أمر عيسى؛ فتركوا المباهلة ونصرفوا إلى بلادهم على أن يؤذوا في كل عام ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك بدلاً من الإسلام.
الثالثة: قال كثير من العلماء: إن قوله عليه السلام في الحسن والحسين لما باهل { تَدْعُ

أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ } وقوله في الحسن: "إِنَّ ابْنَيَ هَذَا سَيِّدَ" مخصوص بالحسن والحسين أن يسمّيا بنّي النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرهما؛ لقوله عليه السلام: "كُلُّ سَبَبٍ وَنَسْبٍ يَنْقُطُعُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسْبِيٌّ وَسَبْبِيٌّ" ولهذا قال بعض أصحاب الشافعى فيمن أوصى لولد فلان ولم يكن له ولد لصلبه وله ولد بن وولد بنت: إن الوصية لولد الابن دون ولد الابنة؛ وهو قول الشافعى. وسيأتي لهذا مزيد بيان في «الأنعام والزخرف» إن شاء الله تعالى.

(قرطبي)

الاحزاب 41